مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد 02 العدد 11 بتاريخ 2019/06/25م

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

الإيكولوجيا والمجتمعات: نحو أنتروبولوجيا للبيئة

الدكتور بن معمر عبد الله

جامعة تلمسان-الجزائر

الإيميل:amrou20@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: 2019/04/24 م تاريخ التحكيم: 2019/04/29م تاريخ القبول: 2019/05/02م

الملخص: انتبه الإنسان منذ القدم إلى العلاقة بين طباع الناس وخصائصهم الجسمية والخلقية وبين البيئة الطبيعية التي يعيشون فيها. هكذا نجد هيرودوت يصرح أن مصر هبة النيل، ولذلك عزى إلى المصريين اختلافهم في عاداتهم وتقاليدهم إلى المناخ والخصائص الفريدة لنهر النيل. واليونانيون عزوا اختلافهم أو بالأحرى علوهم إلى بيئتهم الطبيعية. ولم يكن ابن خلدون بدوره يجهل تلك العلاقة. فقد ميز بين المناطق الحارة والباردة من جهة والمناطق المعتدلة من جهة أخرى، وعزا لكل إقليم خصائص جسمية ونفسية وخلقية بل وحتى دينية. مع تبلور الأنتروبولوجيا طرحت إشكالية البيئة والثقافة والمجتمعات، وصارت أحد الموضوعات المهمة التي دفعت بالعديد من الأنتروبولوجيين إلى تقديم نظريات بشأنها، ويمكن التمييز عموما بين ثلاث نظريات هي: أولا النظرية الحتمية، وثانيا النظرية الاحتمالية، وثالثا النظرية التوفيقية أو النزعة البيئية. هذا ما يسمح لنا بالحديث عن أنتروبولوجيا للبيئة. فمن هم أقطابها؟ وما هي مفاهيمها؟

الكلمات المفتاحية: الإيكولوجيا- المجتمعات- الثقافات—الأنتروبولوجيا

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

Ecology and Societies: Towards Anthropology of the Environment

Dr. Benmammar Abdallah

University of Tlemcen- Algeria

Email : amrou20@yahoo.fr

Abstract; From ancient times people have been aware of the relationship between the nature of people, their physical and moral characteristics, and the natural environment in which they live. Thus Herodotus declares that Egypt is the gift of the Nile, and therefore he attributed to the Egyptians their differences in their customs and traditions to the climate and the unique characteristics of the Nile. The Greeks attributed their difference or rather their elevation to their natural environment. Ibn Khaldun was not ignorant of that relationship. It distinguished between warm and cold areas on the one hand and temperate regions on the other, and attributed to each region physical, psychological, moral and even religious characteristics. As the crystallization of anthropology raised the problem of the environment, culture and societies, it became one of the important topics that prompted many anthropologists to present theories about them. Three theories can be distinguished generally: first, the theory of inevitability, the second is the probability theory, and the third is the theory of compromise or environmentalism. This allows us to talk about the anthropology of the environment. Who are their poles? What are their concepts?

Keywords: Ecology - Societies - Cultures – Anthropology

مقدمة: انتبه الإنسان منذ القدم إلى العلاقة بين الخصائص الجسمانية والنفسية وحتى الخلقية وبين العوامل الطبيعية، وكذلك بين هذه العوامل وخصائص المجتمعات. ولكن هذه العلاقة ستأخذ الطابع العلمي وتتحرر من الأحكام الشائعة والمسبقة، عندما ستخضع للملاحة الموضوعية. والأنتروبولوجيا تمثل فرعا معرفيا عالج هذه العلاقة وتشكل داخلها حقل خاص هو أنتروبولوجيا البيئة الذي أفرز تيارات مختلفة جعلت الإيكولوجيا والثقافات والمجتمعات من أولى اهتماماتها. ترى كيف نظرت تلك التيارات إلى العلاقة المذكورة ؟ وما هي حدود تأثير الإيكولوجيا؟

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

مدخل: في القرن التاسع عشر حيث ستولد كلمة إيكولوجيا التي كانت من استخدام المختصين في النباتات والحيوانات، قدم فريدريك إنجلز في كتابه "جدلية الطبيعة" الملاحظة التالية: "إن الوقائع تذكرنا في كل خطوة أننا لا نسود على الطبيعة مثل غاز يسود على شعب أجنبي، كشخص خارج عن الطبيعة، ولكننا ننتمي إليها بلحمنا ودمنا وعقلنا، وأننا في حضنها وأن كل هيمنتنا عليها تنتج عن الأفضلية التي لدينا على مجموع المخلوقات الأخرى بمعرفة قوانينها وقدرتنا على استخدامها بمهارة"

ويضيف إنجلز: "مع ذلك لا يجب أن نغتر كثيرا بانتصاراتنا على الطبيعة. إنها تنتقم من كل انتصار لنا. كل انتصار له في المحل الأول النتائج التي ابتغيناها ولكن، في المحل الثاني والثالث له آثار مختلفة كليا، وغير متوقعة، لا تحطم في الغالب الأعم سوى نتائجه الأولى" (Robert Cresswell, 1978, p. 7).

التقابل طبيعة/ ثقافة، قالب مؤسس للتقليد الفلسفي الغربي، يلازم الفكر العلمي منذ أصوله البعيدة جدًا. بالرغم من أن البرادجم يمكن أن ينحل تحت أشكال مختلفة (عام/ خاص، موضوعي/ ذاتي، فطري/ مكتسب، لاشعوري/ شعوري، جسدي/ روحي، إلخ...) عالميته اليوم يعترض عليها بقوة من قبل عديد الإتنولوجيين.

الإتنولوجيا المعاصرة- اختراع القرن العشرين التي تعني الاعتراف بتعدد الثقافات- ولدت في معنى من المعاني في رد فعلها ضد المصادرة التي تفترض أن الكائنات الطبيعة أو" الهمجيين "يتميزون جذريا عما يسمى كائنات ثقافية، أو " المتحضرين".

الأنتروبولوجيا تتردد مرارًا بين توجهين شديدي التباين، التوجه الذي يقوم على دراسة الإنسان كنوع بيولوجي بين أنواع أخرى. والتوجه الذي ينظر إلى تنوع الثقافات في استقلال عن كل اعتبار للبيئة. هذه الثنائية القطبية التي لا تكون من غير استدعاء التفرع الثنائي طبيعة/ ثقافة تنتهي غالبا إلى تناقض بيّن كفاية بين المقاربات المادية والمثالية. الوقوف في الوسط أي القول بمقاربة تأخذ في الاعتبار العوامل الثقافية من غير أن تهمل تأثير البيئة، والعكس بالعكس، من شأنه أن يرفع هذا المأزق.

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

والحديث عن العلاقات بين المجتمعات البشرية والأوساط الطبيعية، بين الحضارة والطبيعة يرجع إلى إعطاء أو إعادة إعطاء الإتنولوجيا بعدا بيولوجيا وبالمحصلة منظورا أيكولوجيا.

ما سنقدمه هو عرض مختلف تيارات الإتنولوجيا التي وضعت العلاقة مع البيئة من أولى اهتماماتها.

قبل ذلك يجب أن نقدم تعريفا للبيئة. يقدم le webster seventh new collegiate dictionary 1963 التعريف التالي: " البيئة هي مركب العوامل المناخية والبيئوية المتعلقة بالتربة والحيوية التي تؤثر على جسم أو جماعة أيكولوجية وتحدد في نهاية المطاف شكلها وشروط بقائها". ونفس المعجم يقدم معنى آخر:" إنها مجموع الشروط الاجتماعية والثقافية التي تؤثر في حياة فرد أو مجموعة(Robert Cresswell, 1978, p. 13). يتبين من التعريفين أن البيئة حقيقة طبيعية وسوسيوثقافية في آن. إن الثقافي لا يستبعد بالضرورة المقاربة الأيكولوجية ولهذا نسمع في الأنتروبولوجيا الأمريكية الحديث عن أيكولوجيا ثقافية.

1-النظريات القديمة: أغلب النقاشات الأولى المتعلقة بتنوع العادات الإنسانية وأسس الحياة الاجتماعية انطلقت من مشكل العلاقة بين الطبيعة والثقافة. سؤال تأثير الوسط المحيط على تطور الأشكال الاجتماعية يمثل الإشكالية الماقبل أنتروبولوجية بامتياز.

المقاربة الحتمية: تذهب هذه المقاربة إلى اعتبار أن حضارة معطاة محددة بشروط الوسط. لقد صادر هيبوقراط Hippocrate منذ خمسة وعشرين قرنا على أن الوسط يمارس تأثيرًا حاسما على طبع الشعوب. لقد افترض من بين ما افترض، أن سكان الجبال مسالمون وشجعان، وعلى النقيض سكان السهول الجافة هم أكثر عدوانية وعصبيون.

مثل هذه الاستدلالات النظرية تماما والمحملة بالأحكام المسبقة وصفت بالحتمية من حيث أنها تفترض أن الشروط البيئة تحدد بطريقة حتمية خصائص هذا المجتمع أو ذاك، أو على الأقل خصائص الأفراد الذين يكونونه باعتبار أن الاستدلالات لا تصدق بالضرورة على الجماعات الاجتماعية. هذه النظريات وجدت من يدعمها قبل أن يطالها النسيان وتعوض بنماذج أخرى أقل تبسيطية.

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

العديد من الروايات التي تقدمها النظريات الحتمية أشهرها بدون شك تلك التي افترضها مونتسكيو في كتابه "روح القوانين" (1748). في هذا الكتاب حاول صاحبه البرهنة أن القوانين والأنظمة الإنسانية تتأثر من بين عدة مؤثرات بالطبيعة والمناخ، والطوبوغرافيا. نظرية المناخات هذه التي رسخها كتاب آخرون أقل نفاذا من مونتسكيو ستجد صدى لها لدى أغلب فلاسفة قرن الأنوار.

جان جاك روسو في كتابه " العقد الاجتماعي" (1762) أنشأ مثلا موازاة بين الأنظمة السياسية وخصوبة الأرض. الكاتب صادر على أن النظام الملكي يناسب الأمم الغنية التي نشأت في مناطق خصبة، والأرسطقراطية تناسب البلدان المتوسطة الخصوبة، والديمقراطية تناسب الدول ذات الحجم الصغير التي تقيم في أراضي فقيرة.

فرضية من نفس النمط والتي عرفت بعض النجاح، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، أدعت أن قارة شابة كالقارة الأمريكية لا يمكنها أن تنتج سوى كائنات قبيحة، من هنا التكوين الأقل قوة المزعوم لسكان العالم الجديد.

كانط كانت له أيضا أحكام مماثلة فهو مثلا قد قسم الطباع المختلفة بين الفرنسيين والإنجليز باختلاف تضاريسهم. فالفرنسيون أرضهم برية والإنجليز جزيرة. فالعامل هنا هو التضاريس وليس المناخ ولكن في كلتا الحالتين الاستدلال لا يتغير.

المفكرون الأوربيون منذ زمن بعيد أولوا أهمية كبيرة إلى مسألة التكيف مع المناخ. من الممتع الإشارة إلى أن المناخ الممطر يمكن وحده من بروز وتطور الحضارة. هكذا تم تبرير علوم الأوربيين المزعومة، أما الشعوب الغريبة فإما أنها ترزح تحت الحرارة، أو أنها منشغلة جدًا بالحماية من البرد عن أن تعمل على تحضرها.

في الفكر العربي وجد من يندرج ضمن هذه النظريات الحتمية ونخص بالذكر ابن خلدون. ففي باب تأثير البيئة في أحوال وألوان وأخلاق البشر كتب قائلا:" إن المعمور من هذا المنكشف من الأرض إنما هو وسطه لإفراط الحر في الجنوب منه والبرد في الشمال ولما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين في الحر والبرد وجب أن تندرج الكيفية في كليهما إلى الوسط فيكون معتدلا فالإقليم الرابع أعدل

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

العمران والذي خفا فيه من الثالث والخامس أقرب إلى الاعتدال والذي يليهما من الثاني والسادس بعيدان عن الاعتدال والأول والسابع أبعد بكثير فلهذا كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس والأقوات والفواكه بل والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الأقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر أعدل أجساما، وألوانا، وأخلاقا، وأديانا، حتى النبوات فإنما توجد في الأكثر فيها ولم نقف على خبر بعثة في الأقاليم الجنوبية ولا الشمالية وذلك أن الأنبياء والرسل إنما يختص بهم أكمل النوع في خلقهم وأخلاقهم"(ابن خلدون، د.ت، ص 65-66). بل إن ابن خلدون يذهب إلى حد القول أن أخلاق الأقاليم غير المعتدلة قريبة من خلق الحيوانات العجم وأنهم (أهل السودان) متوحشون غير مستأنسين يأكل بعضهم بعضا. وهكذا فإن أحوال الأقاليم المنحرفة والبعيدة عن الاعتدال سواء في الجنوب أو الشمال "بعيدة عن أحوال الأناسي قريبة من أحوال البهائم"(ابن خلدون، د.ت، ص 66)

2-من الحتمية إلى الاحتمالية:

خلال القرن التاسع عشر عرفت العلوم الطبيعية تطورا لافتا وبدأت بعض النظريات الأكثر تعقيدا في الظهور من أجل تحليل العلاقات بين الإنسان والبيئة. ففي سنة 1859 عالم الطبيعيات شارل داروين طبع " أصل الأنواع" الذي طرح مفاهيم الانتخاب الطبيعي والصراع من أجل البقاء التي قادت إلى نظرية التطور. وفي سنة 1866 البيولوجي أرنست هاكل E. Hacckel نحت كلمة OCKologie، انطلاقا من الجذرين الإغريقيين OiKos (مسكن) ولوغرس Logos (خطاب، علم). في الفترة نفسها وحتى قبل هذه الفترة بقليل أنشأ الاختصاصيون فيما نسميه اليوم العلوم الإنسانية نظريات في تطور الثقافة، نظريات ستوصف هي أيضا بالتطورية، تطورت بالموازاة (وباستقلال) مع عمل الطبيعيين. نذكر هنا هربرت سبينسر ومورغان وتايلور حيث أن كتاباتهم ركزت على مفهوم التقدم الأحادي الخط. التطورية الأنتروبولوجية بهذا المعنى سابقة قليلا عن التطورية البيولوجية، ويمكننا الاستنتاج أن كل الباحثين في علم الحياة، لا زالوا يقبلون بنظريات التطور. التطوريون مارسوا تأثيرا بارزا على فكر ماركس الذي نقل أيضا إلهامه إلى نظريات الفيلسوف فردريك إنجلز. هذا الأخير في "دروس عن التاريخ" الذي ظهر سنة 1830، افترض من بين مبادئ طبيعية أخرى، نظرية هيدرولوجية (الهيدرولوجيات = علم المياه) لتطور الثقافة. منطلقا من معاينة أن السهول الخصبة الطمية تمثل مهد كل الحضارات، لأنها وحدها من المفترض

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

أن تقدم شروط إنتاج الفائض الضروري لبروز المجتمعات المعقدة. هيجل اعتقد أنه قادر على الاستنتاج " أن البلدان الزراعية ليست شيئا آخر غير أحواض نهرية" (Martine Segalin, 2001, p.119) ماركس وإنجلز من جهتهما صاغا فرضيات أكثر تباينا حول العلاقة بين الثقافة والمحيط. لقد دمجا مسألة أنظمة قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج في إشكاليتهما عن العلاقات بين البنية التحتية الاقتصادية والبنية الفوقية الأيديولوجية والقانونية والسياسية.

خلال القرن التاسع عشر كله، احتفظت الحتمية مع ذلك ببعض القوة، بشكل خاص بواسطة علماء ألمان ينتمون إلى المدرسة المسماة الأنتروبولوجيا الجغرافية التي تأسست في بداية القرن العشرين بواسطة كارل ريتر K. Ritter، فريدريك راتزل F. Ratzel صاحب كتابي " Volkerkunde"، "وأطلس الشعوب" (1841)، الممثل الأبرز لهذا التيار راتزل عظم أيضا الانتشارية، أين أعطى أهمية كبيرة لظواهر التبادل وانتقال التقنيات والأفكار. ضمن وجهة النظر هذه، الانتشار يأتي ليكمل ويعدل من أثر الوسط (Martine Segalin, 2001, p. 119).

النقاشات الفكرية للفترة كانت تدور حول مسألة ثقل العرق والوسط على تكون المجموعات الثقافية. في هذا السياق افترض راتزل أن الوسط المحيط يمارس تأثيرا على ما أسماه بالأعراق الطبيعية، أكثر قوة على ما أسماه بالأعراق المثقفة. بالنسبة له المجاورة الجغرافية تنتج بتقليلها إمكانات التبادل والاستعارة، المجاورة الفكرية والركود الثقافي. بحيث أن الأعراق الطبيعية كانت منزوية في مناطق معزولة وعدائية، بينما المناطق الخصبة والممطرة كانت تأوي الأعراق المثقفة. هكذا فإن الاختلافات بين الأعراق المزعومة تنتج عن المناطق التي تعيش فيها.

بعض تلامذة راتزل الأكثر تطرفا، أمثال إلوورت هنتنغتون E. Hantington في الولايات المتحدة، أو فيكتور كوزان V. Cousin في فرنسا، دفعوا بنظريات أستاذهم في اتجاه حتمية ميكانيكية. هنتنغتون مثلا اقترح نظرية شبه بارومترية للحياة الاجتماعية بانيا علاقة سببية وثيقة وأحادية الجانب بين العوامل المناخية ودرجة الحضارة. لقد اعتقد أن مفهوم الحرية يرتبط بالارتفاع الذي تعيش فيه الشعوب.

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

فيكتور كوزان في القرن التاسع عشر أعلن بوثوقية جميلة : "اعطوني خريطة بلد ما، شكله ، ومناخه، رياحه وكل جغرافيته الفيزيائية، اعطوني انتاجاته الطبيعية ، غطاءه النباتي، وحيواناته وسأتكفل بأن أخبركم قبليا من سيكون إنسان هذا البلد وأي دور يلعبه هذا البلد في التاريخ، ليس عرضيا ولكن بالضرورة. ليس في عصر معين ولكن في كل العصور. وأخيرا أخبركم بالفكرة التي هو مدعو لعرضها"(Robert Cresswell, 1978, p. 9).

ردا على هذه النظريات الاختزالية والملطخة بعفونة استعمارية، العديد من التيارات رأت النور في بداية القرن العشرين، مقترحة في مكان الرؤى الحتمية السابقة، مقاربة توصف بأنها احتمالية. من أنصارها فيدال دي لابلانش Vidal de la Blanche و لوسيان لوفيفر Lucien Febvre . ضمن هذا المنظور الظروف الفيزيائية والمناخية والبيولوجية تعمل كالكثير من القيود التي يجب على البشر التآلف معها، لكن هذه القيود هي إيحائية وتحديدية أكثر منها توجيهية. إنها تكون إطارا يقبل سلسلة تامة ولكن إلى حد ما ممدودة من الإجابات التكيفية. إنها تبدو كواهبة للإمكانيات التي يُمكن أن تتحقق أو لا تتحقق. وأن الحضارات تختار بحرية من بين عديد الإمكانيات التي تمنح لها. من هنا مفهوم الاحتمالية possibilisme .

وكتوفيق بين النظرية الحتمية والنظرية الاحتمالية هناك النزعة البيئوية environnementalisme التي تفترض أن هناك تبادلا في العلاقات بين الحضارات والأوساط، الأولى هي مجموع التكيفات الثابتة، وأحيانا عدم التكيف، مع البيئة الطبيعية، بعبارة أخرى هناك تبادل بين الثقافات والأوساط وحتى تبادلات مستمرة باعتبار أن تحويل الوسط بفعل عمل الإنسان يدخل دون توقف على هذا الأخير ضرورة تأقلمات جديدة. هذه النزعة لها عن البيئة أو بالأحرى الوسط مفهوما أكثر شساعة وأكثر كمالا وأكثر دقة عن مفهومه لدى الحتميين كما لدى الاحتماليين. إنها تفترض تعديلات عميقة يجريها البشر على الأوساط ولكنها تفترض أيضا واقعة أن تأثيرات بل إكراهات أيكولوجية تتعرض لها المجتمعات. إنها تعترف إذن بما للأوساط من تأثير على الحضارات. إنها تترجم هم الاعتراف بتأثير الشروط الطبيعية على سلوك الجماعات البشرية وعلى تاريخها من غير أن تنفي الإستقلالية النسبية على الأقل للوقائع الثقافية.

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

3-بواس وموس وميلاد الأنتروبولوجيا المعاصرة: غالبا ما يعتبر، بشكل خاص في الولايات المتحدة كالأب المؤسس للأنتروبولوجيا المعاصرة، فرانز بواس (1858- 1942) حدد اعتقاداته في رد فعله ضد الحتمية وضد هفوات النظريات التطورية والانتشارية والجناسية لأسلافه.

بامتلاكه شهادات في الفيزياء والرياضيات والجغرافيا توجه بواس إلى شمال كندا حاملا معه مشروعا لدراسة تأثير الوسط على نوع الحياة وتفكير سكان الإسكمو. رجع من هناك سنة 1885 مقتنعا بأنه بصدد تحديد المظهر العام للمجتمعات فإن التاريخ، واللغة، والثقافة تلعب دورًا أكبر من دور الشروط الطبيعية.

ومسألة العلاقة مع البيئة شغلت دائما بواس الذي زيادة على كفاءاته العلمية كان مزودًا بتكوين صلب كطبيعي. في أعماله المتعلقة بالأنتروبولوجيا الفيزيقية، برهن أن العلامة الرأسية (حجم الجمجمة) التي اعتبرت لدى أنتروبولوجي تلك الفترة كسمة ثابتة يمكن أن تستخدم من أجل تحديد الأجناس، كانت في الواقع خاصية ناتجة عن تأثير الوسط. في دراسته للأجيال المتلاحظة للمهاجيرين إلى الولايات المتحدة، أثبت بواس أن الاختلافات التشريحية الواضحة في البداية بين جماعات إثنية، تنمحي بالتدريج. بالمقابل في أعماله المتعلقة بالأنتروبولوجيا الثقافية واللغوية أوصى بواس باستقلالية الإنتاجات الفكرية، جاهذا قبل كل شيء في البرهنة على الإنسجام الداخلي للثقافات، على النقيض من المقاربات الانتشارية السابقة التي تعزل السمات الثقافية وتعتبرها فردية من أجل دراستها منفصلة.

بينما كان بواس يعمل في الولايات المتحدة، مارسيل موس ممثل الأنتروبولوجيا في فرنسا كان مهتما أيضا بالعلاقات بين المجتمع والبيئة. بالاشتراك مع هنري بوشا H. Beuchat نشر ما بين عامين 1904 و 1905 الدراسة المشهورة "مقال عن التغيرات الفصلية لمجتمعات الإسكمو" الذي يصف تعاقب فصلي الصيف والشتاء المختلفين كليا. فصل الصيف الذي يمكن وصفه بالدنيوي يتميز بالتشتت في المكان للوحدات العائلية، والفصل الثاني المطبوع بالمقدس ويتميز بتجمع تلك الوحدات (Marcel Mauss, 1968). موس وبوشا كشف أن هذه المورفولوجيا الاجتماعية المزدوجة تتوافق تماما مع الشروط الأيكولوجية المحيطة، وبشكل خاص مع سهولة الحصول على الطرائد حسب الفصول. مع ذلك

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

إذا كان مفكرانا يعتقدان أن الشروط البيئية القصوى التي تهيمن في الشمال الكبير يمكنها أن توسع وبالتالي توضح الظاهرة المراد دراستها، فهما ينفيان في المقابل أن هذه الشروط نفسها يمكن أن تكون العلة، وكبرهان قالا بأن الظواهر ذات المورفولوجيا المزدوجة المتماثلة جدًا تظهر بدرجات متفاوتة في أي مكان من العالم. أضف إلى ذلك حتى الإسكيمو كان بمقدورهم، فيما يعتقدان، التحرر من قيود الشتاء بحيث كان يكفيهم تبني التقنيات التي يستعملها جيرانهم من الهنود الأمريكيين (بشكل خاص خف الجليد).

4-تيارات الإتنولوجيا الأمريكية:

الإتنولوجيا الثقافية: الجيل الأول من الإتنولوجيين الفرنسيين الذين يشكلون تلامذة لموس تركوا إلى حد ما الإشكاليات البيئية من أجل الاهتمام بمسائل التنظيم الاجتماعي وبالأنظمة الرمزية. في المقابل، تأثير الوسط شغل بشكل كبير الجيل الأول من الإتنولوجيين بشمال أمريكا المكونين من طرف بواس الذين من بينهم ألفرد كروبر A. Krocber (1876- 1960).

مثل بواس كروبر ومساعدوه حددوا هوية لهم بتميزهم عن الحتمية البيئية للمدرسة الألمانية، مكافحين ضد فكرة أن الثقافة تزدهر في المناطق الماطرة، أو أيضا أن مفهوم الحرية يمكن أن يعود إلى الارتفاع. وهذا لم يمنعهم مع ذلك من وضع التفكير في البيئة في قلب اهتماماتهم. أعمالهم التي كانت تهدف إلى تحديد المناطق الثقافية لأمريكا الشمالية مكنت مثلا من كشف العلاقات المتبادلة الواضحة بين المناطق الجغرافية والثقافية.

هكذا بين كروبر أن الحدود بين المناطق حيث كان من الممكن زراعة الذرة وبين تلك التي لا يمكن فيها زراعته تكون أيضا حدودًا بين المناطق الثقافية. لقد تجنب مع ذلك التصريح بأن أساليب القوت يمكن أن ترتبط ارتباطا وثيقا بالبنية الاجتماعية.

وفيا للتقليد البواسي، افترض كروبر على العكس أنه إذا كان صحيحا أن الثقافات متجذرة في الطبيعة، ولا يمكنها بالتالي أن تكون مفهومة إلا بالرجوع إلى هذه القطعة من الطبيعة التي تتجلى فيها،

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

فإنها ليست أكثر من نتاج لهذه الطبيعة مثل نبتة لم تنتج أو تحصل بواسطة الأرض التي تتجذر فيها. الأسباب المباشرة للظواهر الثقافية هي ظواهر ثقافية أخرى.

إذا كان كروبر يعتبر كأحد الرواد الرئيسيين لما يسمى: الإيكولوجيا الثقافية، فإن أحد تلامذته وهو جوليان ستيوارد Julian Haynes Steward (1902- 1972) الذي يعتبره تاريخ الأنتروبولوجيا المؤسس لهذا التيار. والذي من أقطابه أيضا فريدريك بارت Frederick Barth وماكس جلوكمان Max Glukman و روي رابابورت Roy A. Rappaport في مقابل التصور الذي يعتبر الثقافة كمجموعة من إنتاجات الفكر أو تصورها شيئا يخضع له الأفراد، اقترح ستيوارد رؤية أكثر مادية جاهدا في ربط الثقافة بالبيئة في إطار برنامج جديد يعطيه اسم الإيكولوجيا الثقافية. هذا البرنامج أنشأه ستيوارد منذ 1950 تقريبا عقب سلسلة من المقالات جمعت في كتاب ذي تأثير نظري عظيم هو "نظرية في التغير الثقافي".

في مقابل التطور الأحادي الخط الذي يقول به التطوريون، يقول ستيوارد بتطور متعدد الخطوط، يقول: "التطور المتعدد الخطوط، مثل التطور الأحادي الخط، يهتم باكتشاف مراحل التطور لكن بخلاف هذا الأخير يبحث عن اكتشاف مراحل من التطور متشابهة، ليست عالمية ولكنها خاصة". والتطور المتعدد الخطوط تلعب فيه البيئة الدور الأكبر. فالبيئة تقدم تشكيلة من الإمكانيات التي انطلاقا منها يمكن للثقافات أن تختار وتنتقي ولكنها تحد أيضا من الاختيارات ، ذلك أن بعض الأنواع الحيوانية والنباتية لا تزدهر إلا في بيئات خاصة. هذه هي المكانة التي نمنحها للسببية. ستيوارد عدل المنظورات، عنده ليس هذا البعد هو الذي ينجم، ولكن طريقة التكيف مع بيئة معينة هي التي تحدد إلى حد ما بعض الظواهر الثقافية.

التكيف الإيكولوجي هو في الوقت ذاته المعيار الذي يمكن الإتنولوجي من فصل عن الثقافة الكلية هذا الجزء الذي داخله ترتبط مختلف العناصر الثقافية وظيفيا، وعلة هذا الارتباط الوظيفي. بعض السمات الثقافية تشكل جزءا من المجموعة الفرعية وأنها ترتبط فيما بينها بسبب تكيفها الإيكولوجي. هذه المجموعة الفرعية يشير إليها ستيوارد بالنواة الثقافية. يميز ستيوارد بين وجهين للثقافة: النواة الثقافية،

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

وخارجها السمات الثانوية. لقد اعتقد أن النواة المركزية لثقافة ما هي وحدها تتعرض لتأثير الوسط (كثافة سكانية، درجة الحضرية، تقسيم العمل). بالنسبة للباقي، ما كان له سمة الكونية وبشكل عام التمثلات الفكرية يعمل بطريقة مستقلة. ويعتقد ستيوارد ومعه أنصار هذا التيار الإتنولوجي (الإيكولوجيا الثقافية) في تفسير التباين بين ثقافات الشعوب المختلفة، على ظاهرة التنوع البيئي كما يهتمون بالكشف عن كيفية تأثير الثقافة مع ما يحدث في البيئة من تغيرات جذرية ، على تكيف الفرد وتفاعله الاجتماعي(سيدي دريس عمار، 2015، ص 110).

والإيكولوجيون الثقافيون يعطون أهمية كبرى للمعرفة التكنولوجية والاقتصاد في تحليلهم للتكيف الثقافي الإيكولوجي إذ من خلالها يمكن رؤية الاختلافات بين الثقافات المعاصرة أو التباين الثقافي في الثقافة الواحدة خلال فترة من الزمن. ولكنهم مع ذلك لا ينكرون العوامل الأيديولوجية والسيكولوجية والاجتماعية والسياسية. وهكذا فالأشكال المختلفة التي يستخدمها الإنسان لمواجهة البيئة التي يعيش فيها يترتب عليها أنواع مختلفة من الصيغ أو الأشكال الثقافية(فاروق إسماعيل، 1984،ص 142-144).

ولكن الإيكولوجيا الثقافية تعرضت لانتقادات من قبل تاستار A. Testar الذي بين أن المعيار الإيكولوجي وحده غير كاف لتبرير نمط تنظيم اجتماعي. ذلك أن علاقة المجتمع بالبيئة ليست مباشرة. استعمال الفضاء يتنوع حسب الاستراتيجيات والخصوصيات الثقافية والتقنية لجماعة معينة. إنه يتوقف أيضا على الإكراهات السياسية التي يمكنها أن تفسر إلا بعض الجماعات متقاسمة نفس الفضاء ولكنها تختلف في استعماله(Marie-Odile Géraud, 1998, p. 262-263).

منظرون آخرون فكروا في التكيف، كانوا أقل حذرًا، وذهبوا إلى حد تبجيل الرجوع إلى مقاربات حتمية صريحة.

المادية الثقافية: هذا التيار ظهر في الولايات المتحدة على يد أحد الوارثين لفكر ستيوارد ألا وهو مارفين هاريس Marvin Harris (1927-2001) الذي يعتبر أحد أشهر وأكثرهم نقاشا بسبب خاصية التحول المنهجي والكاريكاتوري لمؤلفه.

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

هاريس هو أحد الباحثين النادرين الذين ادعوا تأثير الفكر الماركسي عليهم، التزم كليا بفكرة أولية البنيات التحتية الاقتصادية على البنيات الفوقية الأيديولوجية. على خلاف أسلافه المشهورين دفع هاريس المصادرة مع ذلك إلى حدودها القصوى جاهدا في البرهنة على أن كل نظام إنساني مهما كان، يقود في النهاية إلى آلية موجهة لإشباع حاجات ملازمة لجسم الإنسان.

كتابه الأكثر شهرة (Cannibales et monarques. Essai sur l'origine des cultures) وهو مجموعة مقالات مخصصة للبرهنة على أنه في ضوء المادية الثقافية حتى الممارسات والمعتقدات الغريبة التي تبدو للوهلة الأولى غامضة تظهر في النهاية وبجلاء معقولة من وجهة النظر البيولوجية، الأمر إذن يتعلق بأخذ الظواهر التي تنم عن مفارقة لاسعة، ومحاولة حلها من خلال تحديث منطق تعظيم الميزات التي يفترض أنها كامنة، والتي توجد في العمل.

هكذا فإن نظام البقرة المقدسة التي يحرم أكلها في الهند مع أن هناك فترات من المجاعة يفسر بالفائدة العالمية لروث وحليب تلك الحيوانات التي تترك حية، ظواهر أخرى متنوعة مثل الأضحية لدى الأزتيك، قتل الفتيات الصغيرات عند شعب الياهومامي أو بالإضافة إلى تحريم لحم الخنزير في الشرق الأوسط. كل تلك الظواهر تفسر على أنها مبادئ بيئية في القيم الثقافية، وعادة ما تهدف إلى زيادة البروتين.

بالرغم من (أو ربما بسبب) خاصيتها التبسيطية فإن أفكار هاريس اكتسبت جمهورًا عريضا في الولايات المتحدة، الأيكولووجيا التخمينية التي استندت إليها بلغت مع ذلك مستوى من التجريد والعمومية إلى درجة أنها آلت إلى فقدان خاصيتها التفسيرية الجادة.

السوسيوبيولوجيا: مؤسس السوسيوبيولوجيا إدوارد ويلسون المتخصص في دراسة النمل Myrmécologue يتقاسم مع مارفين هاريس بعض التوجه نحو النفعية الراديكالية والمادية المدفوعة إلى أقصى الحدود. باحثو هذا التيار ينطلقون من مسلمة أن سلوك البشر يجب، مثله مثل سلوك الحيوانات، أن ينظر إليه من زاوية الانتخاب الطبيعي. لقد أولوا أهمية كبيرة إلى تأثير الظواهر الثقافية على انتقال الجينات، هذا (بدلا من الثقافة) ما يكون موضوع دراستهم.

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

على العكس من الأطروحات الداروينية التي بالنسبة لها الوحدة الوراثية للتكيف هي مجموعة الكائنات الحية مكونة تجمعا من أجل التكاثر. السوسيوبيولوجيا تتصور التكيف من وجهة نظر الفرد أو بالأخرى جيناته. يتعلق الأمر إذن بدراسة ما يمكن فردًا من تعظيم ميزته التكاثرية على حساب أمثاله، بدلا من الاهتمام بفائدة ما يمكن هذا السلوك أو ذاك من إضفائها إلى سلم التنافس بين أنواع أو بين جماعات(Martine Segalin, 2001, p. 123).

5-تيارات الإتنولوجيا الأوربية: التقاليد الأنتروبولوجية الفرنسية والأنجلوسكسونية هي في الغالب متعارضة ولكن فيما يتعلق بالدراسات في حقل أيكولوجيا المجتمعات البشرية، فإن الدراسات الأمريكية والأوربية (بريطانية وفرنسية) هي التي تتميز عن بعضها البعض.

مارسيل موس مقنعا بالمقاربة الاحتمالية في دراسته للتغيرات الفصلية لدى الإسكيمو، ولكن مبتكر الظاهرة الاجتماعية الكلية لا يشكل أبدا منافسا ضمن الأنتروبولوجيين الأوربيين فيما يتعلق بهذا الجزء من عمله. هذا راجع في جزء منه إلى توزيع المهام بين الفروع العلمية. الأبحاث التي تأتي في إطار دراسة العلاقات بين المجتمعات والبيئة هي دائرة اختصاص أنتروبولوجيا أمريكية تهتم بالتاريخ الطبيعي، بينما في الجهة الأخرى من المحيط فإنها تعالج خاصة بواسطة الجغرافيا أو التاريخ.

في حقل الإتنولوجيا، هيمنة النظريات البنيوية لم تترك إلا مكانا ضيقا لدراسة البعد المادي لحياة المجتمعات. المغالاة على العكس، كانت على تحليل الانسجام الداخلي للأنساق الاجتماعية والثقافات التي أعلنوا أنها تكون حقائق مستقلة، مفصولة عن الحتميات البيولوجية وإلى حد ما عن الحوادث التاريخية. بعض الوظيفيين تحدث عن الميدان الخارجي لوصف الوسط المحيط.

مع ذلك ومع غياب النقاشات النظرية العامة فإن المسألة الأيكولوجية لم تكن أقل معالجة محليا في إطار الدراسات الأحادية الوصفية الكلاسيكية، حيث الكثير منها وضعت مكانا لعرض أسلوب الحياة أو لإدماج المجتمع في وسطه الطبيعي، الأكثر رمزية بينها تلك التي كرسها إيفانز- بريتشارد عام 1937 للنوير، فهي جديرة بالملاحظة في هذا الإطار. نصف الكتاب خصص لتحليل النماذج الأيكولوجية لتنظيم

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

المجتمع، ولكن النقاش النظري المثار بواسطة هذا الكتاب تولاه القسم الثاني منه حيث تم تحليل عمل الأنظمة السياسية.

العمل الرائد لأوندري ريشاردز A. Richards وداريل فورد D. Forde: عملان فريدان للأنتروبولوجيا البريطانية جعلا من المسألة الأيكولوجية إشكالية صريحة مركزية. وهما عملا أوندري ريشاردز وداريل فورد. الأول رائد سواء باختيار الموضوعات المدروسة أو بالمناهج المعتمدة. الدراسة الأحادية التي كرسها في سنة 1939 للبومبا Bemba تقدم تحليلا مفصلا لنظام المعاش حيث أن العادات الغذائية، كموضوع لم يعاد فيه النظر من قبل الإتنولوجيا إلا لاحقا، وأنماط تنظيم العمل واستعمال الزمن الخاص بالفلاحين وكذلك الزراعة المتنقلة التي تبرهن أنه رغم المظهر القديم الذي تقدمه في أعين الرحالة والمهندسين الزراعيين الأوربيين، فإنها تمثل إجابة متكيفة مع الشروط الطبيعية. لقد كان ينبغي انتظار سنوات الستينيات، ثم الموجة الحالية من الأبحاث حول الزراعة الأيكولوجية من أجل إيجاد دراسات مكافئة. كتاب أوندري ريشاردز ضخم ليتناول أيضا التنظيم الاجتماعي، ويساهم بشكل خاص في فهم أنظمة قرابة ذات نسب أمومي وكذلك دراسة طقوس المسارة.

داريل فورد باحث آخر معروف بأعماله عن الأنتروبولوجيا الاجتماعية لإفريقيا، ولكنه طبع في بداية حياته، في سنة 1934 مقدمة جغرافية للإتنولوجيا حيث أعطاها منظورًا مقارنا عن العلاقات البينية بين الأنظمة التقنية والاجتماعية التي تمكن من بقاء المجتمعات، وشروط الوسط الطبيعي التي تشغلها.

في هكذا منظور، تحليل الوسائل المادية المستعملة في أنظمة المعاش للشعوب الإنسانية- التقنيات- تكون سؤالا مهما. في الواقع هذه التقنيات تقابل أنماط التكيف لدى البشر بأنماط الأنواع الحيوانية الأخرى، مميزة أيضا الجماعات الإنسانية فيما بينها، باعتبار أن كلهم لم يضعوا نفس الأنظمة التقنية. كل المجتمعات، في الماضي كما في الحاضر، تستعمل مجموعة من التقنيات خاصة بها من أجل الحصول على الثروات التي تحتاجها كجمع المواد النباتية، والصيد، وصيد الأسماك وتربية المواشي أو زراعة النباتات هي بقدر مركبات التقنية المستعملة والمنظمة فيما بينها بواسطة المجتمعات البشرية. أهمية الاعتبار لهذا الوجه التكنولوجي في فهم دينامية العلاقات بين المجتمعات البشرية وأوساطها البيولوجية لم تفلت من

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

مختلف المنظرين التطوريين، بدءًا من مورغان وانتهاءا إلى ستيوارد وكذلك باحثين أكثر معاصرة، كلهم أو جلهم يستعملون نمذجة للمجتمعات قائمة على تقنيات التملك التي تصنع مكانا للفئات الكلاسيكية: الصيادون الجامعون، الرعاة أو المزارعون(Martine Segalin, 2001, p. 125-126).

التكنولوجيا الثقافية الفرنسية: لا داريل فورد ولا أوندري ريشاردز أقاما مدرسة في الأنتروبولوجيا البريطانية. في المقابل سيظهر في إطار الإتنولوجيا الفرنسية تيار بحث منظم عالج مسائل ما يسمى التكنولوجيا الثقافية. كما بالنسبة لعدد الأوجه الأخرى للإتنولوجيا الفرنسية، فإنه لمارسيل موس تعود أبوة مقاربة أنتروبولوجية للظاهرة التقنية. مع ذلك فأوندري لوروا غوران هو الذي قدم أسس البرنامج النظري وخاصة المنهج المعتمد.

تحليل التكنولوجيا ليس أبدًا ببساطة بحثا نموذجا وأسلوبيا قائما على تحليل الأشياء والأدوات، ولكن عند دراسة السلاسل العملياتية- سلسلة الأفعال المنسقة لتحويل المادة إلى منتوج كامل- فقط يمكن مقارنة الاختيارات التكنولوجية المتحققة من قبل المجتمعات المختلفة في الماضي والحاضر. بهذه الطريقة، الدراسة المقارنة لتقنيات التصنيع مثل صناعة الخزف، وبقدر تلك المتعلقة بإنتاج المواد الأولية الضرورية للمعاش، يمكن أن نعالج، زيادة على التقدم المنهجي الذي يسمح به تبني مفهوم السلسلة العملياتية كأداة للوصف وتحليل العلاقات بين الأدوات والحركات والمادة المحولة، فإن الباحثين الفرنسيين في التكنولوجيا الثقافية وضحوا ضرورة الأخذ في الاعتبار البعد الاجتماعي للظواهر التقنية، بشكل خاص العلاقات الاجتماعية بين العاملين. من جهة أخرى بالرغم من بعدها المادي، كل تقنية ليست أبدا غير الفكر مجسدًا، يجب أن تدرس من الزاوية المعرفية والرمزية، المادة أو البيئة، والمهارات المستعملة، من أجل تحقيق أنتروبولوجيا التقنية هذه يقتضي أن تكون هناك ملاحظة دقيقة للأدوات وأوضاع الجسم، ولكن أيضا نقلا دقيقا لخطاب الفاعلين، ذلك أن الحركة والكلام يكونان موضوع التكنولوجيا الثقافية. أوندري لوروا غوران إتنولوجي ومؤرخ ما قبل التاريخ عكف على دراسة الحركات، بينما باحث آخر متعدد الاختصاصات في الإتنولوجيا الفرنسية هو أوندري جورج هودريكور A. Georges Handicort تعمق بقوة في دراسة الكلام. مهندس زراعي وإتنولوجي ولغوي، ساهم هودريكور في توضيح العلاقة بين دراسة التقنيات والمعجم المستعمل من قبل مخترعيه. هكذا فقد درس تقسيم وتطور تقنيات الحرث

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

والمصطلحات المرتبطة بها، مقاربة مطبقة كذلك على دراسة النباتات المزروعة ومختلف المهارات الطبيعية. هودريكور يكون بهذا أحد مؤسسي ما يسمى في فرنسا إتنولوجيا العلوم ethnosciences .

6-الأيكولوجيا البشرية: من النوع إلى المجتمع: انتشرت في حقل الأنتروبولوجيا بعض المفاهيم التي خرجت من العلوم البيولوجية مثل: العامل المحدد، المكان الأيكولوجي، النظام البيئي.

1-العامل المحدد أو الإكراه البيئي:

مفهوم العامل المحدد ويسمى أحيانا الإكراه البيئي، هو امتداد لقانون الحد الأدنى الذي صاغه في القرن التاسع عشر ليبيغ Liebig الذي حدد أن وجود وتطور كائن حي محدودان بواسطة وجود بعض الثروات. يمكننا تحديد الثروة التي تنقص أكثر كائنا أو نوعا خاصا في بيئة معطاة. توفر الماء عامل مفتاحي في دراسة الأوساط الجافة. لقد بين ليبيغ مثلا أن كثافة جماعات الأبوريجان المختلفة في أستراليا ارتبطت بنظام الأمطار.

بشرط التخلي عن موقف حتمي إلى أقصى الحدود، الذي حسبه مجموع الأنظمة الاجتماعية والثقافية تحدد آليا بعوامل بيولوجية مثل الجفاف أو توفر بعض الثروات، فإن مفهوم العامل المحدد يمكن أن يقدم بابا للدخول صالحا لدراسة حالات أيكولوجية ذات تعقيد كبير دائما. بدلا من محاولة فحص في وقت واحد كل العوامل البيولوجية المعنية، يبدو من المفيد التركيز على العوامل التي تعرف قبليا أن لها دورًا في تنظيم مجموع النظام الأيكولوجي، إلى حد ما، هذه المقاربة يمكن أن تثير تحليلا مقارنا. لكل نمط من الوسط الطبيعي يطابقه عدد قليل من العوامل المحددة والدراسة ينبغي أن تنصب أولا على أنماط التكيف مع هذه الإكراهات. هذه النقاشات ليست هي التي قابلت في بداية القرن العشرين بين الاحتماليين والحتميين. أن يعتبر هذا العامل أو ذلك محددا أو أنه يجعل من الممكن حدوث هذه السمة الثقافية أو تلك هو مسألة بلاغية أكثر منها مسألة تحليل. مثلما لاحظ روي إلان Roy ellen " المشكل بالنسبة للأنتروبولوجيا بشكل عام ليس في اكتشاف إن كان متغير ضاغط أو محدد، ولكن اكتشاف الأنماط ودرجة هذه المرونة"(Martine Segalin, 2001, p. 129).

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

في مثل هذه المنظور، يرجع للأنتروبولوجيين الأخذ في الاعتبار الطريقة التي يعيش بها المعنيون ذاتهم الإكراه.

2-المكان البيئي La niche écologique

كل نوع بيولوجي يشغل في نظام بيئي مكانا محددا بسلوكياته الغذائية والتكاثرية والإقليمية وهو ما نسميه المكان الأيكولوجي. ولا يمكن لنوعين أن يشغلا نفس المكان. هذا المفهوم يطابق جزئيا مفهوم المسكن الذي يشير إلى المكان حيث يعيش نوع معين، بينما المكان (La niche) يشير إلى الدور الذي يشغله النوع في النظام البيئي. ويتعلق بمجموع العلاقات التي يقيمها مع أنواع أخرى. دينامية خلق أنواع والمكان الذي يشغله كل نوع منها هو نتاج الانتخاب الطبيعي وقوانين التطور حسب البيولوجيا. تحديد مكان النوع الإنساني يطرح مشكلات خاصة تتعلق بالتحليل. من المؤكد أن الإنسان العاقل مثله مثل الآخرين نتاج للتطور ولكن هذا لا يشير إلى شيء كبير إلى التنوع العجيب للوضعيات الأيكولوجية التي تكيف معها، ولا إلى تنوع الأنماط الخاصة بتكيف كل مجتمع من المجتمعات التي تتكون منها الكائنات البشرية في الماضي والحاضر.

النوع الإنساني يتكيف أقل مع بيئته الطبيعية كما لا تتكيف هذه الأخيرة مع أهدافه. الإنسان يبني مكانه أحيانا ويفعل ذلك بشكل مختلف حسب المجتمع الذي ينتمي إليه وحسب نظام التقنيات التي اخترعها. في إطار هذا المعنى أشار لوروا غوران إلى أن الإثنية تحل محل النوع وأفراد الإنسان هم مختلفون إثنيا مثل الحيوانات الأخرى المختلفة حسب الأنواع. لدراسة أيكولوجيا البشر على اختلافها عن الأنواع الأخرى، نحن منقادون مرارًا لمعرفة وضعيات، حيث أن في وسط بيولوجي واحد، العديد من المجتمعات البشرية خلقت أمكنة مختلفة جذريا.

مفهوم المكان الأيكولوجي يمكن أولا من معالجة وضعيات أيكولوجية واجتماعية معقدة، مثل فسيفساء المجموعات الإثنية المتشابكة التي اقترح فريدريك بارت دراستها في شمال الباكستان. في هذا السياق الإتنوغرافي، بيئة كل مجموعة إثنية ليست محددة فقط بالظروف الطبيعية، ولكن أيضا بوجود ومناشط المجموعات الإثنية الأخرى التي ترتبط بها.

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

مقاربة بارت المستندة إلى مفهوم المكان الأيكولوجي قامت بتنوير حقل الدراسات المتعلقة بالعلاقات بين المجتمعات البشرية وبنياتها البيولوجية، ملزمة الأخذ في الاعتبار بأحدى المسلمات الأساسية في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية: لا وجود لمجتمع معزول عن غيره من المجتمعات.

3-النظام البيئي L'ecosystème:

هذا البعد المتعدد الإثنيات في دراسة بارت تم إهماله غالبا من قبل الإتباع، أصحاب سلسلة من الأعمال التي طوال الستينيات جعلت من مفهوم النظام البيئي مفهوما مركزيا. في المعجم اللغوي الشائع، الكلمة غالبا ما تفهم بمعنى واسع لكلمة بيئة، أو وسط طبيعي، ولكنها تم اختراعها في الثلاثينيات للإشارة إلى مجموع النظام التفاعلي الذي تؤلفه الكائنات الحية وبيئتها الفيزيائية والبيولوجية. إنه يكون نظاما ثابتا نسبيا من العلاقات بين الكائنات الحية داخله تتم مبادلة ونقل الطاقة والمادة والمعلومات. أنتروبولوجيون أمريكيون بشكل خاص، تصوروا تبني وجهة نظر النظام البيئي من أجل دراسة النوع الإنساني، من أبرزهم روي رابابورت Roy Rappaport. بقي أن نشير إلى أن النظام البيئي ينقسم إلى نظام بيئي معمم وآخر متخصص. الأول يضم عددا كبيرا من الأنواع التي تشغل أمكنة مختلفة والتي تمثل بشكل عام بعدد صغير من الأفراد في نظام معين وعلى العكس النظام البيئي المتخصص هو بسيط من ناحية تكوينه الخاص ولكن كل نوع يمثل بعدد كبير من الكائنات الحية. الغابات الاستوائية تكون نظاما بيئيا معمما، بينما مناطق المروج والسافانا المدارية والتوندرا الشمالية تنتمي لفئة الأنظمة البيئية المتخصصة (Martine Segalin, 2001, p. 131-132).

إن مفهوم النظام البيئي يبدو مفيدا وخصبا عندما يتعلق الأمر بتصور العلاقات البينية بين المجتمعات البشرية والطبيعة التي تشكل هذه المجتمعات جزءا منها.

الخاتمة: الحديث عن العلاقات بين المجتمعات البشرية والأوساط الطبيعية بين الحضارة والطبيعة يشكل موضوع أنتروبولوجيا البيئة وفي هذا إعطاء أو إعادة إعطاء للإتنولوجيا بعدا بيولوجيا وبالمحصلة منظورا إيكولوجيا.منأجل ذلك برزت تيارات إتنولوجية وضعت العلاقة مع البيئة من أولى أولى

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

اهتماماتها.وتتمثل خاصة في الإيكولوجيا الثقافية والسوسيوبيولوجيا والمادية الثقافية والتكنولوجيا الثقافية الفرنسية. وكل هذه التيارات أبرزت عامل البيئة في تشكيل الثقافات والمجتمعات بدرجات متفاوتة. وعموما يبقى الموقف الوسط الذي يوفق بين النظرية الحتمية والنظرية الاحتمالية هو الموقف المقبول فغي إطار معالجة إشكالية البيئة والثقافة.

Conclusion: Talk about the relations between human societies and the natural community between civilization and nature is the subject of the anthropology of the environment and in this giving or re-giving of biology a biological dimension and the result of an ecological perspective. There fore the emergence of the currents and the development of the relationship with the environment from the first of its first concerns. Particularly in the cultural ecology and sociobiology and Cultural material and French cultural technology. All these trends have highlighted the environmental factor in shaping cultures and communities in varying degrees. In general, the central position that reconciles the theory of determinism with the theory of probability is the accepted position, so that the framework of addressing the problem of the environment and culture is eliminated.

قائمة المراجع

- إسماعيل فاروق ، **الأنتروبولوجيا الثقافية**، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندية، مصر، 1984.

-ابن خلدون، **المقدمة**، دار العودة، بيروت، لبنان، ب ت.

-عمار سيدي دريس ، **الأنتروبولوجيا وجغرافية السكان**، دار ومكتبة الحامدج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015.

-Cresswell Robert, **Eléments d'éthnologie**, Armond Colin, Paris, 1978.

- Géraud Marie-Odile et al., **Les notions clés de l'ethnologie**, Armond Colin, Paris,1998.

-Mauss Marcel, « **Essai Sur les Variations Saisonnières des Societes Eskimos** » in **Sociologie et anthropologie**, paris, 1968.

-Segalin Martine, **Ethnologie**, Armand colin, Paris, 2001.

List of references:

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (**ISSN-L**):**2617-9857**

-Ismail Farouk, Cultural Anthropology, Dar al-Maarifa University, Alexandria, Egypt, 1984.
- Ibn Khaldoun, Introduction, Dar Al-Awda, Beirut, Lebanon, b.
- Ammar Sidi Drees, Anthropology and Population Geography, Dar Al-Hamdaj Publishing and Distribution House, Amman, Jordan, I, 2015.
- Robert Cresswell, Elements of Ethnology, Armond Colin, Paris, 1978.
- Géraud Marie-Odile et al., The Key Concepts of Ethnology, Armond Colin, Paris, 1998.
-Mauss Marcel, "Essay on Seasonal Variations of Eskimos Societies" in Sociology and Anthropology, Paris, 1968.
-Segalin Martine, Ethnology, Armand Colin, Paris, 2001.